

الخبز والذهب!



حکی: أن "فلاحاً فقيراً" ، كان يشتغل طول النهار، محتملاً أشد العنااء ليكسب قوته وقوت عائلته.

وكم كان يعني النفس بالعثور على ركيزة ذهب تغنيه عن أتعاب الفلاحة، وتربيه من شقاءها.

فبينما كان يشتغل في يوم شديد الحر، تحت أشعة الشمس المحرقة شعر بتعب شديد كاد ينهك قواه، فاستلقى تحت شجرة وارفة الظلل، وأخذ يندب حظه متاؤهاً متحسراً.

ثم خاطب نفسه قائلاً:

"آه، لو وهبني أـ قوة سحرية تحوـل كلـ ما تلمسه يداي إلى ذهب، إذاً لتخلص من هذه الحياة التعسة، وعشت عيشة راضية".

وَمَا هِيَ إِلَّا بَعْضُ ثَوَانٍ حَتَّى سَمِعَ هَا تَفَاً : إِنْ قَرَ عَيْنَاً وَاطْمَأْنَ بِالْأَلَاءِ ، فَإِنَّ لَكَ مَا تَشَاءُ مِنْذَ السَّاعَةِ ،
مِنْ يَدِكَ عَلَى كُلِّ مَا تَرِيدُ فَسِينَقْبُ ذَهَبًاً وَهَا جَا

أصبح ذهباً خالماً .

اقتلع حشيشة، فإذا بها تنقلب من فورها إلى ذهب سبيك.

كاد الفلاح هذا يطير فرحاً !!

فاسترسل في خياله، ثم انشأ يقول: سذهب إلى المدينة فأحول التراب والحجارة إلى ذهب، وساشتري

أرضاً واسعة أبني عليها قسراً فخماً تحف به الجنائن، وتجري من حوله الأنهر... وسألتني سيارة أنيقة، و... و... الخ.

ثم هم بالقيام للسير ولكنه أحس بتعب شديد، وجوع أليم لا يستطيع معها سيراً، ولا حركة.
فقال لنفسه: "لأتغد الآن".

ثم مد يده إلى الزاد الموضوع بجانب الشجرة وتناول قطعة من الخبز ولكنه، ما كاد يضعها في فمه حتى شعر بقطة من المعدن اعترضت أسنانه.

فإنَّ الخبز قد أصبح ذهباً:
وكانت بجانبه بصلة فتناولها بيده ولكن ما كان أشد دهشة حينما رآها صارت كتلة ذهبية تخطف الأ بصار بلمعانها، وتفتن الأنطمار بجمالها، غير إنَّه من المستحيل أن يستطيع أكلها.

ذعر الفلاح المسكين من المصيبة التي ألمت به على هذه الصورة ماذا يأكل؟

وماذا يشرب؟
وكيف يتمنى له أن يعيش؟
لم يبقَ لديه شك في أنَّه سوف يقضي بعد قليل جوعاً وعطشاً غير أن يستفيد من هذه القوة السحرية التي اكتسبها، ولا من التلال الذهبية التي يستطيع أن يجمعها.

فكَّر ملياً في عاقبة أمره، فعلم أنَّه صائر إلى القبر بين آلام الجوع، والظماء.
فاقشعر بدنه، وكاد يختنق من هول ما أحدق به من صور الموت المختلفة.

في هذه الساعة الرهيبة فتح عينيه، فإذا به لا يزال مستلقياً في الظل!

فتنفس عندئذ الصداء وقال:

"الحمد لله على أنَّ ذلك كلَّه لم يكن إلا حلماً مخيهاً".

وبحقِّ قالت الحكماء:

"القناعة كنز لا يفنى".

المصدر: كتاب المنتخبات من أحسن القصص (في الوعظ والارشاد والآداب والأخلاق)